صدى الحرية

العدد 100

أسبوعية ثورية اجتماعية توعوية منوعة

للتواصل وإرسال المشاركات :

Facebook / SadaALhoryeh ** freequd@gmail.com

فريق QMT قدسيا الإعلامي

صدى الحرية | العدد 100 | الجمعة 10 / نيسان / 2015

في الذاكرة دوماً لن ننساكم حتى نلحق بكم

إضاءات العدد 100

أضاءت على مجريات الأحداث الثورية وواكبتها، بعد أن اختارت أن تكون نموذجاً في العمل الثوري السلمي، والإعلامي المهني.

اتسمت البدايات بالقوة، ومن بعدها انتقلنا إلى مرحلةٍ نعتقد أنها أقرب للموضوعية من حيث الشكل والمضمون، مع بعض القصور.

مجهودٌ كبير يبذل، وإن لم نصل إلى ذاك المستوى الذي نطمح إليه، إلا أننا سعينا لتضمين صفحاتنا بما توفر لدينا من أفكارٍ سلطت الضوء بشيء من التحليل على ما يحدث في الساحة السورية عموماً وقدسيا خصوصاً.

حاولنا الاقتراب من مشاكل الشارع في ضوء الحصار المفروض والحرب التي يشنها النظام على المواطنين، في محاولةٍ جادة لإيصال الحقيقة وتوثيق ما يحصل، كإسهامٍ في كتابة التاريخ، وصناعة القرار على أقل تقدير في مدينتنا الطيبة.

من الطبيعي النجاح في مكان، كما أنه من الطبيعي الإخفاق في آخر.

وبالحديث عن المشاكل التي واجهتنا نتعمد بين هذه السطور استفزاز الأقلام الشابة والواعية التي اختارت ذات يوم أن تنشط سياسياً في المطالبة بالحرية والعدالة والكرامة، ولعلها ومع طول المدة ركنت إلى زاوية الصمت، ربما تكشفت لها أشياء، جوانب إيجابية وسلبية في مسار الثورة التي هدأت من ناحية توقف التظاهرات وغيرها من النشاطات الثورية السلمية، لكنهم يقيناً يعلمون بضرورة المشاركة.

المشاركة الناعمة ليست خطأً حتى في فترة الحرب العسكرية، لكن ضمن إطار الكلام الواضح والعميق الذي يساهم في تجاوز الأخطاء، لا انتقادها من بعيد، وبالكلام الناقد.

وصلنا اليوم للعدد "المائة" من المجلة، ونطمح لنترك بصمةً ثورية في المدينة، تواكب تطورات الشارع على المستوى المحلي والعام، ودور القراء هو أحد الجوانب التي نركز عليها ونصبو لتكوين صلةٍ ونفتح باب الحوار بين وريقات المجلة وبين صدى ما يقوله ويردده الناس، لعلنا نخلص في النهاية إلى إيجاد الحلول والمساهمة على أقل تقدير بتقديم الأفكار في المدينة ومن ثم لننطلق نحو الأعم فيما يتعلق بقضايا الشارع والثورة.

خلال الأعداد الماضية لن نقف عند سؤال "ماذا قدمنا؟" وإنما نحاول أن ننظر للأمام والمستقبل ونسأل: "ما الذي يجب أن نقدمه؟"

نطمح لبناء مشروع صنع القرار داخل المدينة أولاً عبر آراء مواطنيها.

وبالمقابل، الحد من الظواهر السلبية التي سادت في فترةٍ من عمر الثورة في المدينة، نعمل على كشفها، وتحويل الأنظار إليها، لتعريتها ومن ثم فتح الباب لمحاسبتها، من قبل المعنيين بالأمر.

نرسم ملامح التغيير الجديد عبر الكلمة التي انطلقت بها الثورة، قبل البندقية، واعتقد كثيرون أنها باتت بلا قيمة، وغاب عنهم أن الديكتاتوريات والمستبد على مر التاريخ لا يلجأ إلى إسكات الرصاص والسيف بقدر ما يحاول قتل الكلمة، وهذا ما واجهه آباءنا في عهد ديكتاتورية البعث وسلطة الأسد والأفرع الأمنية التي كممت الأفواه.

الباعث على هذا القول إيماننا بدور الشباب وأقلامهم، كما نؤمن أن الشراكة القائمة بين الشارع والمجلة يجب ألا يتوقف على الجانب العاطفي فحسب، بل إلى اتخاذ القرار الصائب بممارسة الدور الداعم فعلاً وعملاً.

الحرب الإعلامية قائمة ومستمرة، ودعاتها من الطرف الآخر أقوياء بدعمهم من طرف النظام، لكن القوة تكمن لدينا فيما ورثناه من رغبةٍ صادقة قدمته الثورة السورية لتحرير الشعب السوري من براثن الصمت القاتل.

شعار "المعرفة ثم الاختيار" لم يزل مرفوعاً وقائماً، يؤكد إرادة التغيير التي نرغبها عبر العمل الإعلامي الصحفي المقروء.

أسرة مجلة صدى الحرية تتمنى من قرائها المشاركة من خلالها والإطلالة على العالم عبر نافذتها، وتأمل لقرائها متابعة مميزة.

بعثهم وحذاء الأحرار

هذا الإصدارُ رقم مئة من سنابلِ صحيفتنا (صدى الحريَّة) التي دأبَ على إصدارها أحرارُنا مطلع كلِّ أسبوع على الرغم من كلِّ الصُّعوبات، ها هيَ سنابلُ صدى الحريَّة تنمو فتغدو مئةَ سنبلةٍ ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ منَ الصَّبْرِ مع اليقين بالنَّصرِ. إنَّ هذا الإصدارَ رقم مئة يفتحُ جراحاً ما زالَ بعضُها غائراً في صدورنا إلى الآنَ، مثلما يفتحُ آمالاً على مستقبلٍ مشرقٍ نستبشرُ مَعَه بنصرٍ منَ الله قريبٍ. أمَّا الألمُ فهو لأنَّ هذه الأعدادَ المئةَ لم تُكْتَبْ بِمِداد الحبر، بل كُتِبَتْ بِمِداد دموع المستضعفين، ومِداد دم الشهداء، ولاسيَّما جنود الحقِّ الذين قاموا على إنشاء صفحاتها في أعدادها الأولى، رضيَ الله عنهم ورَضُوا عنه، ولْيَعْلَمْ إخواننُا الذين سبقونا بالفَضْلِ إلى رحمة الله أنَّنا لن ننساهم، وأنَّهم حاضرون بأصواتهم التي ما زلت تطوفُ في أسماعِنا لتستقرَّ في قلوبنا، فنسألُ الله أن يُطَيِّبَ ثراهُمْ وأن يجعلَهم في جنَّات النَّعيم مع النَّبيِّين والصِّدِّيقين.

عاشَتْ صدى الحريَّة كلَّ آمالنا، مثلما عاشَتْ كلَّ آلامِنا، لم نَسْعَ من ورائها إلى غير مرضاة الله، وفي طيَّاتِ صفحاتِها استودَعْنا اللهَ دعاءَ الضُّعفاءِ والمكلومينَ والمظلومينَ، واستودعْنا اللهَ دماءَ شهدائنا الذين اصطفاهم إليه في جنَّاتٍ مُكْرَمين. كتبْنَا فيها سطرَ الثِّقة وحُسْنِ الظنِّ والأملِ بالله ربِّ العالمين، ومَسَحْنا بالكلمة الطيِّبةِ دمعةَ الألم من وجوه إخواننا المتعبين، ذلك أنَّ الأُخُوَّةِ في الله كَمَثَلِ اليد والعين، إذا دمعَت العينُ مسحَت اليدُ دَمْعَها، وإذا تألمت اليدُ بَكَتْ العينُ لأجلِها، هذه هي حالنا في صحيفتنا مع إخواننا المستضعفين. بين طيَّات صفحاتِ صدى الحرية تأسيسٌ لبنيانٍ مرصوصٍ على الحقِّ، امتزجَت كلُّ لَبِنَةٍ منه بالدَّمعِ والدَّمِ، بالنُّورِ واليقينِ، وما زلنا على الرغم من ازدحام الأسى علينا نرى الألمَ طَهوراً يقرِّبُنا إلى الله.

لم نَكْتُبْ لنظهرَ في النَّاس، بل كَتَبْنَا لنصدحَ بالحقِّ، وكَتَبْنَا لنحكيَ عفويةَ البسطاءِ، وكَتَبْنَا لنرسمَ خُطواتِ المستقبل بإذن الله. لم نكن يوماً نحلمُ أنْ نزاحمَ أحداً، ولا نريُد أن نزاحمَ أحداً، كلُّ ما سَعَينا إليه هو إعلامٌ بديلٌ نابضٌ بالصِّدقِ، نشهدُ به بالحقِّ ولو على أنفسنا، كان ذلك مطلبَنا بعدما أغرقَ النِّظام سوريَّة بجرائدِ إعلامِهِ المضَلِّلِ، وها هُمُ الأحرارُ يهرعون إلى صحيفة صدى الحرية وغيرها من صحف الإعلام البديل، يقرؤون ما فيها بعنايةٍ على اختلاف درجاتِ ثقافاتِهم التي حَرَصْنا على مراعاتها في أثناء كتابةِ مقالاتِ المجلة، ولنا أنْ نسألَ هنا: لماذا يتلهَّفُ كثيرٌ من النَّاس إلى قراءة صحيفةٍ حرَّةٍ مثل صدى الحرية، في حين يجعلونَ جريدةَ البعث لِمَسْحِ أحذيتهم لتغدو أكثر لمعاناً بمداد حبرها المغشوش منذ أربعين سنة. يبدو أنَّ صحيفةً مثل البعثِ ليس لها مقام بين النَّاس إلا عند النِّعال، وفي أحسن حال، يمكن أن تصلحَ للاستجمار بعد قضاء الحاجة تقديراً لصورة كبيرِ لصوصِ الوطنِ المنشورة على صفحة غلاف البعث، ولأنَّ قائد البعث حرصَ على تطهير الوطن على حدِّ تعبيره، فقد حرصنا نحن أيضاً على إنفاذ رغبته في الاستجمار بصورته طلباً للتَّطهير.

ونقول بكلِّ تَحَدٍّ لكلِّ أولئك المرْجِفِين الذين يسألوننا إلى متى تصبرون، ومتى النَّصر؟ نقول لهم: إنَّ أكثر المنْتَكِسينَ عن الحقِّ حين طالَ بهم الطريق استبطأ كثير منهم النتيجةَ فَشَكُّوا بسلامة الطَّريق فبحثوا عن النتائج في غيره، أما نحن فنعاهدكم أننا ثابتون على الحقّ، يُظْهِرُهُ اللهُ، أو نهلك دونه، وليعلم الجميعُ أنَّ طولَ الطَّريقِ فتنةٌ إلا عند أصحابَ اليقين.

في العدد المئة من صحيفتنا صدى الحرية لا تسألونا عن النَّصر، ولكن اسألونا عن ثباتنا على الحق مع الصَّبر، اسألونا عن الثابتين من الأحرار على درجات اليقين، فنحن ما خرجنا نطلبُ النصر، فهذا شأن الله عزَّ وجلَّ، نحنُ خَرَجْنَا نطلبُ الحقَّ وأَمَرَنا الله تعالى بالثَّبات عليه، وقد عَقَدْنا العزمَ على أنْ نمضيَ إلى الحقِّ، فإنْ أدرَكْنا النَّصرَ فتلكَ مِنْ نِعَمِ اللهِ علينا، وإنْ أَدْرَكَنا الموتُ من دونِهِ فذلك مِنْ رحمةِ الله:

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾.

الانتصارات والنكسات

تضاعف المسؤولية بين إدلب ومخيم اليرموك.. وخلفية المشهد الإقليمي والدولي تلاحقت الأحداث في الأيام الماضية، وتصدرت عاصفة الحزم في اليمن المشهد عربيا ودوليا، بينما بقيت العلامة الفارقة للقتال في العراق بمشاركة جيش محلي وميليشيا طائفية وتحالف دولي أن سرعة الإنجازات كسرعة السلحفاة، ولا تنقطع خلالها مشاهد الإجرام الطائفي في عدد من المناطق، وفي الكويت انعقد ما يسمى مؤتمر المانحين الدولي الثالث لصالح الشعب السوري، وسط إعلان المسؤولين الدوليين عن عدم الحصول على عشرة في المائة من الاحتياجات المعلنة ولم يتم تسديد كثير من التعهدات من المؤتمر الثاني السابق في الكويت أيضا. بتعبير أخر.. نجد أن قوى كبرى وصغرى، دولية وإقليمية، أجنبية وعربية، لم تحقق كثيرا من الأهداف التي حددتها لنفسها إلا جزئيا، وبالمقابل نجح الثوار في سورية، دون دعم يذكر، ورغم تنكر سياسي كبير وتعتيم إعلامي جزئي.. نجحوا في دحر قوى المستبدين والمحتلين، والسيطرة على بصرى الشام في الجنوب وعلى إدلب في الشمال، ثم معبر نصيب على الحدود الأردنية، ولم يتزحزح الثوار عن معظم مواقعهم الأخرى، حتى في المناطق المحاصرة كما في الغوطة الشرقية. أمام هذا المشهد لا داعي للوقوف أمام ظهور دعائي سخيف من جانب أدعياء المقاومة والممانعة، ككلمة المدعو نصر الله وهو يهاجم "التدخل" في اليمن، وتصريحات خادمه الأسد وهو ينكر استخدام البراميل المتفجرة ويؤكد رغبته في علاقات جيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية. . . . يمكن أن نضيف على العناوين الرئيسية المذكورة آنفا عناوين أخرى، كالمفاوضات على النووي الإيراني مع المساومات السياسية خلف الكواليس، أو ما وصل إليه حصار إخواننا وأخواتنا في غزة بمشاركة الانقلابيين في مصر، وكذلك العجز حتى الآن عن كسر شوكة الثوار في ليبيا رغم جهود عربية ودولية لهذا الغرض..

أما لافتة "الإرهاب" و"الحرب على الإرهاب" فتبقى من قبيل "رتوش قبيحة" لا تغني ولا تسمن من جوع في توظيفها لتبرير إرهاب رسمي كبير. لا حاجة لهذه الإضافات لندرك بمنظور المسار التاريخي للثورة الشعبية في سورية، أنها فتحت أبواب التغيير مهما بدا لنا الثمن باهظا ومؤلما، ومهما انتشرت المقولات السوداوية عن استحالة تحقيق أهداف الثورة خارج نطاق قرار "الكبار" من خارج صفوف ثوارها وشعبها. إن الكبار هم الثوار.. وشعب الثوار الأحرار. إن انتصارات الثوار في أكثر من موقع في سورية –أيها السوريون– تحققت دون دعم تحالفات إقليمية ودولية، بل رغم تحالف قوى الشر ما بين الضاحية وطهران وموسكو وهمجية ربيبهم القابع حتى الآن بانتظار مصيره المحتم. وإن معاناة شعب سورية مع بلوغ الإحجام عن الدعم الضروري للمشردين والمحاصرين مبلغ المشاركة الهمجية في تحقيق أهداف البراميل المتفجرة، لم توصل إلى كسر إرادة هذا الشعب ولا إرادة ثواره، ولا التراجع عن أهداف الحرية والكرامة والعدالة وسائر الحقوق المعيشية الأصيلة. . . . هذا وذاك يضعنا أمام مسؤوليات جسيمة، لم يعد مقبولا تأخير العمل المضاعف للنهوض بها. يجب العمل على أن يقترن تحرير كل مدينة أو قرية بالعمل على جعلها "نموذجا" معبرا عن القدرة الذاتية للشعب الثائر على تحقيق أهدافه رغم المحنة التي يعيشها. لقد تحقق تحرير بصرى وإدلب ونصيب بوحدة الكلمة والصفوف، ولا ينبغي التأخر في بذل مزيد من الجهد لتوحيد الكلمة والصفوف.. وتحقق التحرير بحسن التخطيط وكفاءة الأداء، فلا ينبغي التأخر عن مزيد من التخطيط والتنسيق والحرص على الأداء المنظم المدروس دون ارتجال ودون تغليب التصورات الذاتية على المصالح الكبرى المشتركة ودون خوض معارك جانبية لا تبقي لأحد قوة ولا تذر.. على النقيض من ذلك يضع تحرك داعش في مخيم اليرموك الثوار في دمشق والغوطة أمام مسؤولية

جسيمة، فقد ظهر هنا بشكل معاكس أن عدم توحيد الكلمة والصفوف على أسس سليمة، يجعل الثوار في موضع لا يُحسدون عليه، ويجعل أعداءهم قادرين على توظيف أحداث من قبيل ما شهده ويشهده المخيم لتأجيج مزيد من العداء، سواء من خلال مواصلة تشويه الوجه الثوري الشعبي بوجود أطراف إرهابية على الساحة، أو من خلال استخدام عدم وحدة الكلمة والصفوف ذريعة لتبرير حصار التجويع داخليا وحصار السلاح دوليا. حيثما تقع نكسة من النكسات -كما في مخيم اليرموك- وجبت مراجعة الأسباب وسد الثغرات وأولاها ما يحدث من صدامات بين بعض القوى الثورية ثم التأخر عن خطوات توحيد الكلمة والصفوف على أسس قويمة دون هيمنة طرف على آخر. وحيثما يتحقق التحرير كما في إدلب وبصرى الشام ونصيب وجب إعطاء الدليل على قدرة الثورة على حماية المدنيين من الانتقام الهمجي الاستبدادي والعدواني الإيراني.. وعلى تأمين الاحتياجات المعيشية للمدنيين على كل صعيد.. وعلى ترسيخ شبكة أمنية وقضائية مستقلة لا تخضع لتنظيم ولا تمتنع عن محاسبة الكبير والصغير.. وعلى تطبيق عملي مبكر لقاعدة توزيع المهام -وجميعها مهام تشرّف من يؤديها إذا اقترنت بالإخلاص والكفاءة- ما بين مقاتل يحرر ويدافع، وسياسي يطرح المطالب ويفاوض، وقاض يحقق ويحكم، ومدني ينظم ويشتغل، ومفكر يخطط ويحلل، وأستاذ يعلم ويربي، وعالم يجتهد ويوجه.. ذاك هو المشهد "المتكامل" الذي نحتاج إليه في هذه المرحلة. إننا لانحمل مسؤولية تحقيق انتصار عسكري أو تأمين قوت يومي فحسب.. بل نحمل أيضا المسؤولية الأكبر أن نجعل من كل جزء من المشهد الذي نصنعه في مسار ثورتنا مشهدا معبرا عما سيتحقق بانتصار هذه الثورة التغييرية التاريخية.. بعون الله عز وجل.

أطفال دمشق.. من حكايات التشرد

طرق الباب.. طفلٌ صغير يرتدي المعطف لكنه يكاد يتجمد من البرد، كان واضحاً من خلال نفخٍ متكررٍ بين كفيه.

لم يطلب نقوداً، أراد الطعام، الطعام فحسب..

سألته: من أين أنت؟، من الغوطة/النشابية.

هل تدرس؟ لا عمو ماعنا دفتر عيلة وما بحسن كفي دراسة.

مع من تعيش؟ كلنا 6 أشخاص أمي وأخواتي وخالتي وأبي بالغوطة.

حكاياتٌ كثيرة يحكيها لنا الأطفال عن صعوبة ترك منازلهم وذويهم، وصورٌ فظيعة من الألم حين تنظر في عيني طفلٍ خرج مع جده وترك والديه في جوبر، عمر الطفل 5 سنوات.

أعدادٌ كبيرة من الأطفال لقت نفسها أمام مصيرٍ لا خيار لهم فيه، التسكع في الشوارع، أو ممارسة مهنةٍ لتحصيل قوت يومهم، أو حتى "الشحاذة".

تركت مقاعد الدراسة فارغة، بينما قصف جيش النظام الكثير من المدارس ودمرها بشكلٍ كاملٍ أو جزئي.

"ومن باب إنساني تكتفي بالتساؤل عن مستقبل البلاد في ظل هذا الواقع، الذي يعايشه مراسلوها في الداخل، ونسمع به أو نراه على شاشات التلفزة.

أطفالٌ مهجرون يعيشون داخل خيامٍ هنا وهناك، وأكثر من 50% من الأطفال المهجرين خارج سوريا محرومين من التعليم، وأكثر من 2.3 مليون طفل داخل سوريا لا يستطيعون الذهاب للمدرسة.

عن المستقبل لهؤلاء يجب أن نتحدث يقول كثيرون هنا، لكنه حديثٌ يبقى دون حلول.

كيمياء الدموع

حالة ضعفٍ أو حالة قوة، ليست الدموع من تحدد، إنه "أنا" و"أنت"، بالنهاية مجموع المجتمع، أين مجتمعاتنا العربية المسلمة من الدموع؟ تساؤلٌ يحتاج لثورةٍ في البحث، إفراط وتفريط، فما نصادفه تناقضات غريبة، وبين هذين الفكين تعيش الشعوب غارقةً. بين دفتي كتب التاريخ الكثير من الأحزان، الخذلان، الهزائم، اليأس، ومن الضروري أن ننجرف بعدها للدموع، أو ربما لنشتم التاريخ، ونتوقف غالبًا عند هذا القدر؛ إما أن نبكي مجدًا ضائعًا، نقف أمامه مكتوفي الأيدي، وإما أن تتبلد في داخلنا المشاعر. صحيحٌ أني تعلمت البكاء مبكرًا، لكني توقفت عند لحظة نجاحي في تساقط الدموع وكثرتها، اكتفيت على عكسه عند هذا الحد.
كنت أعتقد أنه حالة ضرورية تثبت إنسانيتي، ليس كما يتوهم البعض من كونه يفقدك معنى الرجولة في المجتمع الشرقي، المبالغة فيه هي نقطة الضعف، لكن لماذا أبكي، وإلى متى أظل حبيسًا في سراديب الدموع؟
الحب أحيانًا يقودك للبكاء، الهزيمة، الفشل، المرض، اليأس، كلها تدفع بك نحو البكاء... لكننا يومًا لم نفكر بنتائج الدموع، بمستقبلها، هل قادتنا للصواب أم أفقدتنا الإرادة؟
أمام الكم الهائل من الدموع التي عايشتها في أثناء استماعي للمذياع، ومطالعة الصحف والأخبار، وعلى وقع النغمات الحزينة لأغاني العويل التي نشأنا عليها، وجدتني مضطرًا لأخوض أولى تجاربي في تقييد تلك اللحظات وإلقاء القبض عليها، يومها ارتبطت بالكلمة والقلم... ورحت أُحوّل تلك المشاهد حروفًا على وريقات، لأطفئ وهج الحرائق بالبكاء الغبي؟
كان مزيج الدموع والحبر في تلك الآونة يعبر عن مراهقتي العاطفية والسياسية إن صح التعبير، كنت بين الكلمة والدمعة أمثل ذلك الجزء من محيطي، فقدت مثلًا وقتها جزءًا من مشاركةٍ وتضامن... مزاوجة بين البكاء الأدبي والبكاء كحالة إنسانية. التغير اليوم ومع كثرة الدماء جعلتني أفقد الإحساس بدمعتي، ورحت أخسر معها تلك الشفافية التي أحتاجها لإكمال نصٍ أدبي يحمل في طياته روحانية عالية. خسرت دمعتي إذًا، ومعها فقدت لذة ونشوة الفرح عن الانتهاء من الكتابة. يبدو أني مهددٌ بجفاف أدمعي وتصحّر بساتين كلماتي، حال غيري مثلي، فالاعتياد يلغي الإحساس بالألم، ومعه تفقد الرغبة بالبكاء، عزائي أني أدركت أن الثورة نفسها حالةٌ إبداعية، نصنعها، نرسم بها ملامح الغد بلا حاجةٍ إلى الورقة أو البكاء. حين تتحول الدموع أفكارًا.
تحول الدموع إلى أفكار هي القضية وما أحاول بحثه هنا هو "ظاهرة أكثر شمولًا" من حالة الأفراد وميولهم، هي ظاهرةٌ نكرة، تصل بالمجتمعات إلى هاوية اليأس، وبالتالي الاستسلام، والخنوع، أو القبول بالعيش في واقعٍ مهما بلغت درجةُ هدر كرامة الإنسان فيه.
عبر طرح سؤال: "ما نفع البكاء على الماضي والتحسر؟"، الفائدة مزيدٌ من الروايات، والقصائد، "متاجرةٌ بالدموع"، ليس إلا. أكثر من نصف قرنٍ بكينا ضياع "فلسطين"، وبعدها العراق، والكارثة السورية الإنسانية والحضارية، ثم لا شيء بعد البكاء إلا الضياع.
الغريب أنه رغم المأساة لم نتوقف عن الغناء والرقص! لقد تحولت الأمة بمجموعها من حالة الإنتاج الفكري الحضاري إلى إنتاج أشخاصٍ استهلاكيين، استحالت الأفكار دموعًا. حتى فكرة المظلومية هي إحدى أنواع التباكي، أو "الشحاذة" التي تعلمناها؛ تباكٍ فردي، واجتماعي، وآخر دولي؛ أشكالٌ كثيرة للبكاء. من الطبيعي أن تأتي لحظةٌ نحتاج فيها للبكاء، لكن التطرف في ذلك وتحويلها إلى ظاهرة، تلك هي نكبةُ أمتنا، منذ سقطت الخلافة الإسلامية. بالمقابل، بقي الكثيرون بلا دموع، فقدوا تلك الروحانية التي تشدهم للعمل، من أجل فكرة، وتبلدت مشاعرهم، ونشأ تطرفٌ آخر، وضاعت الوسطية بين الهدر والجفاف! البعض يموتون لافتقادهم القدرة على البكاء، يموتون تحت وطأة أحزانهم. بعض الشعوب تموت بهذه الحسرة، في غرف مظلمة داخل معتقلات الصمت التي يزجون أنفسهم بها فقط لأنهم يخافون الكلمة، ويخشون البوح والصراخ، فما بالكم بالبكاء. في إحدى الجلسات وجدت نيةً غير معلنةٍ لنسيان الدموع، والحجة أن اللجوء إليها هو جلدٌ للذات، وفرارٌ من استحقاقات من واجبي القيام بها، لكن هل نسيانها تمامًا مطلوب، بالتالي نفقد معها إحساسنا بإنسانيتنا لكثرة مشاهد الموت القاسية التي رأيناها؟

وجهان لعملة واحدة.. حتى يثبت العكس

خلال السنوات الأربع الماضية كانت أصابع الاتهام في تأجيج الحرب الطائفية التي يقوم بها النظام السوري تشير إلى غرق الكيان "الإيراني" في المستنقع السوري، والعلامات والمؤشرات تؤكد ليس طورته، بل أيضاً دعمه لعمليات القتل الممنهجة بحق المدنيين والمعتقلين.

في الآونة الأخيرة ارتفعت حدة الصوت المنددة بتصرفات ما يسمى "الدولة الإسلامية الإيرانية" على حساب ما يعرف ب "الكيان الصهيوني"، واتهمت الثورة السورية بمعاداتها للإسلام تارةً وتارةً بالتطرف الإسلامي، وأخرى وسمتها بالإرهاب، ودعم الصهيونية.

التناقضات المزعومة هذه بكل الأحوال تحاول صرف النظر عن ممارسات إيران، باتجاه إسرائيل، العدو الفعلي المتربص، والوجه الآخر لمجوسية التحالف "الصفوي" مع النظام السوري.

لكن السؤال مشروع: «هل إيران هي العدو، أم إسرائيل؟»..

يقول الصحفي "خالد الدخيل": «العدو إما أن يكون عدواً لذاته وبذاته، وإما أن يكون عدواً بفعله، وإن لم يكن بذاته» وهذه القاعدة تنطبق بحذافيرها على حالتيْ إيران وإسرائيل، وعلاقة كل منهما بالعرب. على هذا الأساس، ووفقاً لواقع ما يحدث في المنطقة، فإن إيران هي عدو للعرب ليس بذاتها، وإنما بأفعالها وممارساتها التي هي أفعال وممارسات عدو. أما إسرائيل فهي عدو للعرب لذاتها وبذاتها وبأفعالها. الدور الإيراني في منطقتنا والشرق الأوسط بدا واضحاً مدمراً منذ الدور الذي لعبته في الغزو الأمريكي على العراق وباعترافٍ منها ومن أمريكا، التي أكدت دورها الأساسي في إسقاط بغداد، ولعل إطلاق يدها في اليمن من جديد، واستحواذها على القرارين في سوريا والعراق وحتى قوتها في لبنان والكثير من دول الخليج يعني للفاهم للتاريخ دلالاتٍ ومآلات الموضوع.

من يطرح السؤال السابق يحاول صرف الأنظار عن الدور الإيراني المدمّر في المنطقة، لمواصلة التبرير والدفاع عن سياسة طهران، فضلاً عن أن الإجابة باستبدال إيران بإسرائيل منعت وصول الفكرة إلى عامة الناس في الدول العربية، التي ترفض نزع صفة العدو عن إسرائيل.

طهران بالنهاية ليست بديلاً عن "إسرائيل" في المنزلة، لكنها تشبهها في الأفعال والسياسات والأطماع، وبعض فضائح التواطؤ الإيراني- الإسرائيلي في سبعينيات القرن الماضي تؤكد ذلك.

لكن، وبعد هذه السنوات الطويلة من القتل، ومحاولة تزييف التاريخ، وتشويه العقيدة، بل محاربة المسلمين "السنة" والتي أفرزت "تطرفاً" يواجه سياسات التعنت الدولي والإيراني والسوري على حدٍ سواء، هل يمكن القبول بدورٍ "ايراني" في المنطقة العربية عموماً وسوريا على وجه التحديد؟

المقصود من السؤال إذاً خلق حالة تعاطفية كاذبة مع السياسة الإيرانية ذات الوجه/القناع الإسلامي ذا الطابع العقيدي اذي يحمل العداء للعرب وذا الجذور التاريخية العميقة.

قد لا تختلف سياسة طهران التوسعية في المنطقة عن سياسة "إسرائيل"، وغن كانت في السنوات الخيرة أبرز.

ويبقى الخلاف مع النظام الإيراني سياسي يأخذ الطابع الديني فيه بالتالي حرب فكرية طويلة الأمد، لن تواجه فقط بالرصاص مستقبلاً فحسب بل لا بد للفكر من دوره، في هذا الجانب، ليكون بعدها الفصل بين النظام وبين الشعب الإيراني، هنا يمكن الحديث عن علاقات سياسية حقيقية مع أي حكومة إيرانية تكف عن الطمع السياسي التوسعي واللجوء إلى الدين قناعاً، وإلا فنحن أمام حرب "دينية" واسعة النطاق لا تبقي ولا تذر.

هل تعيش سوريا حرباً أهلية على النمط (اللبناني)؟

رغم الاختلاف في تاريخ بدء الحرب الأهلية في لبنان، يتفق كثيرون على أنها بدأت عام 1975 بعد محاولة فاشلة لاغتيال الزعيم الماروني بيار الجميّل قام بها مسلّحون، وأدت إلى مقتل مرافقه "جوزيف أبو عاصي"، ويقال أنه رداً على تلك الحادثة، جاءت حادثة عين الرمانة التي هوجمت فيها إحدى الحافلات المدنية التي تواجد فيها ركاب فلسطينيون، وكانت النتيجة مصرع 27 شخصاً.
في تلك السنوات البائسة تقاتلت الأطراف ضمن محاور دينية وسياسية، متمثلة في المسيحيين الموارنة، الشيعة، السنة، الدروز، منظمة التحرير الفلسطينية، اسرائيل، وكذلك الجيش السوري وأطراف أخرى متفرقة.
في البداية كانت هناك 3 جبهات رئيسية: الجبهة اللبنانية بزعامة كميل شمعون، هذا الفصيل كان يهيمن عليه المسيحيون الموارنة، وسرعان ما حصلوا على المعونة من سورية ثم من إسرائيل لاحقاً، وكانت للميليشيا التابعة للجبهة المسماة القوات اللبنانية بقيادة بشير الجميل دور أساسي في الحرب، أيضاً كان هناك مجموعات الحركة الوطنية اللبنانية بقيادة كمال جنبلاط، السياسي الدرزي البارز، ومنظمة التحرير الفلسطينية بجميع قواها وأطيافها والتي تحالفت مع الحركة الوطنية اللبنانية.
في بداية الأمر كان الاقتتال بين الجبهة اللبنانية وتحالف الحركة الوطنية اللبنانية مع منظمة التحرير الفلسطينية، إلا أن سنوات الحرب الطويلة التي استمرت لحوالي 15 عاماً و 7 أشهر في لبنان، كانت تشهد الكثير من التحالفات والاتفاقيات المتغيرة تبعاً للمصالح والقوى.
أما ما انتهت إليه بسيطرة الجيش السوري على لبنا0ن، فهي بداية لمرحلة طالت، وحفرت طويلاً في ذاكرة الشعبين والمنطقة، ولم يشكل الانسحاب من لبنان، انتهاء للنفوذ السوري فيه أبداً.
نستحضر تلك الحرب بمواجعها، ولا ينقصنا شيء من ذلك، لكن ربما غاب عن معظم التحليلات السياسية للوضع السوري، انعكاساتها وما يمكن أن يشبهها سورياً، حيث حاول النظام ومنذ البداية توجيه الأنظار إلى أن ما يحدث هو حرب أهلية بين الطوائف السورية، علماً أن الطائفة السنية تمثل حوالي 92 بالمئة من الشعب السوري.
ورغم أن ما يجري، ليس سراً أبداً، لكن هل اندلعت الحرب الأهلية في سورية فعلياً، في غفلة من الجميع؟
من المؤسف القول، أن كثيراً من المناطق شهدت اقتتالاً طائفياً، وإن كان هذا في الظاهر، على اعتبار أن الثورة تستند على طرفين الشعب والنظام، لكن تحيز كثير من السوريين لانتماءاتهم المذهبية، دفع الأمور باتجاه السؤال السابق.
لا نريد القول أننا ذاهبون باتجاه الحرب الأهلية، إطلاقاً، ولا نعتقد أننا بمعزل عنها أيضاً، وهنا نبدو كمن يقف على حافة الهاوية، وهو ما يجب أن يعيه السوريون جميعاً، قبل أن يتحول الاقتتال بين المناطق المؤيدة والمعارضة إلى صراع طائفي، وهو ما يحصل في كثير من المناطق.
وإذا كانت الثورة قدراً مشيناه، وعذابات ذقناها جميعاً، فلنحرص على أن نحفر قبراً لنا في نهاية الطريق، فلا فائدة من الاطاحة بالنظام، والدخول في دوامة أكثر قذارة، لا زالت في خفايا المجتمع اللبناني.

كاريكاتير العدد